

تفسير البحر المحيط

@ 195 @ مخالف فيه ، فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال ، وأما قوله كما أخلصت
الهمزة إلى آخره فليس ذلك إلاّ على مذهب من يزعم أن الأصل فيه أله ، وأما من يزعم أن
أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء ، ولو قلنا إن أصله إله وحذفت
فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض ، إذ لو كانت للعوض من المحذوف
لثبتت دائماً في النداء وغيره ، ولما جاز حذفها في النداء قالوا : يا إله بحذفها وقد
نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ . وقال ابن عطية : واللام في قوله { لَسَوْفَ }
{ مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلًا قال للكافر : إذا مت يا فلان
لسوف تخرج حياً ، فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد ، وكرر اللام حكاية للقول الأول
انتهى . ولا يحتاج إلى هذا التقدير ولا أن هذا حكاية لقول تقدم ، بل هذا من الكافر
استفهام فيه معنى الجحد والإنكار ، ومن قرأ إذا ما أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى
عليه ، وإما أن يكون إخباراً على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك إذ لم يرد به
مطابقة للفظ للمعنى . وقرأ الجمهور { أَخْرَجَ } مبنياً للمفعول . وقرأ الحسن وأبو
حيوة مبنياً للفاعل . وقال الزمخشري : وإيلاؤه أي وإيلاء الطرف حرف الإنكار من قبل أن ما
بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً ، ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن
أحين تمت عليك نعمة فلأن أسأت إليه . .
وقرأ أبو بحرية والحسن وشيبة وابن أبي ليلى وابن منذر وأبو حاتم ومن السبعة عاصم
وابن عامر ونافع { أَوْ لَا * يُذَكَّرُ } خفيفاً مضارع ذكر . وقرأ باقي السبعة بفتح
الذال والكاف وتشديدهما أصله يتذكر أدغم التاء في الذال . وقرأ أُبَيٌّ يتذكر على الأصل
. قال الزمخشري : الواو عاطفة لا يذكر على يقول ، وسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه
وحرف العطف انتهى . وهذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أن حرف العطف إذا تقدمته الهمزة
فإنما عطف ما بعدها على ما قبلها ، وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام ، وكان مذهبه أن
يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو الهمزة على حالها ، وليست
مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة . .
{ أَزَّيَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ } أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف إلى الوجود ،
فكيف ينكر النشأة الثانية وهذه الحجة في غاية الاختصار والإلزام للخصم ، ويسمى هذا النوع
الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي ، وقد تكرر هذا الاحتجاج في القرآن : {
وَلَمْ يَكُ شَيْئاً } إشارة إلى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على أن المعدوم

لا يسمى شيئاً . وقال أبو علي الفارسي : { وَلَمْ يَكُ شَيْئاً } موجود أو هي نزعة
اعتزالية والمحذوف المضاف إليه { قَبْلُ } في التقدير قدره بعضهم { مِنْ قَبْلُ } بعثه
، وقدره الزمخشري { مِنْ قَبْلُ } الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه انتهى . .
ولما أقام تعالى الحجة الدامغة على حقية البعث أقسم على ذلك باسمه مضافاً إلى رسوله
تشریفاً له وتفخيماً ، وقد تكرر هذا القسم في القرآن تعظيماً لحقه ورفعاً منه كما رفع
من شأن السماء والأرض بقوله { فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الرَّحْمَنُ } { وَالْوَاوِ
فِي } { وَالشَّيَاطِينِ } للعطف أو بمعنى مع يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووه
، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وهذا إذا كان الضمير في { لَدَخْشُرَ زَهْمُ }
للكفرة وهو قول ابن عطية وما جاء بعد ذلك فهو من الإخبار عنهم وبدأ به الزمخشري ،
والظاهر أنه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين كما فرق
في الجزاء ، وأحضروا جميعاً وأوردوا النار ليعاين المؤمنون الأحوال التي نجوا منها
فيسروا بذلك ويشمتوا بأعدائهم الكفار ، وإذا كان الضمير عاماً فالمعنى يتجاثون عند
موافاة شاطيء جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التوافق للحساب قبل
الوصول إلى الثواب والعقاب . وقال تعالى في حالة الموقف { وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ
جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا } و { جِثِّيَا } حال مقدرة . وعن
ابن عباس : قعوداً ، وعنه